اسم المادة: اسم الله المهيمن

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله المهيمن
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151971.htm

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أهلًا ومرحبًا وتحية طيبة عاطرة، سلامًا يحمل كل إكرامٍ وتعظيمٍ لأهل إسلام وإيمان بربهم الكريم العظيم.

أيها الكرام؛

اسم فريد من أسماء الله الكريمة، عزيزٌ وجوده في القرآن، لم نجد له إلا آية واحدة في كتاب الله الكريم، في سياق تلك الأسماء الحسنى التي تهز القلب وتنفض البدن إجلالًا لربه في ختام سورة الحشر: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ" الحشر:٢٣. اسم ربنا المهيمن –سبحانه وتعالى– لم يَرِد إلا في هذا الموضع في كتاب الله الكريم، وهو اسمٌ فيه من العظمة والفخامة والجلالة ما يليق بربنا العظيم الكبير –سبحانه وتعالى–.

ما المهيمن؟ وما الهيمنة؟

قيل المهيمن مأخوذ في أصله في اللغة من المؤيمن تصغير مؤمن، وهو من أمن الشيء آمنه من خوف، وسيأتي لذلك مزيد تفصيل. فعندئذ سيكون المهيمن من يعطي الأمن لعباده، وهذا وارد في اللغة في إبدال الهمزة هاءً في بعض الكلمات.

والمعنى الآخر الذي عليه عدد من مفسري كتاب الله الكريم، وعلى رأسهم ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: "المهيمن الشاهد على العباد بأعمالهم أي الرقيب على ما يفعلون وما يصدر عنهم" ففسر المهيمن بمعنى الحفيظ والشهيد والرقيب، فيكون هو بمعنى قوله –عز وجل– "وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" البروج:٩، وبمعنى قوله في الآية الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" النساء:١، وبمعنى قوله: "أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ" الرعد:٣٣. فهو –عز وجل– رقيب حفيظ شهيد.

فتكون الهيمنة في هذا السياق هي الارتقاب، هي الحفظ الإلهي لكل مخلوقاته، وعلى عباده المكلفين على وجه الخصوص، فالله –عز وجل– مهيمن.

ويُدرَك هذا المعنى بصورةٍ أقرب في وصف الله –عز وجل– لكتابه الكريم: القرآن؛ بالهيمنة، واصفًا منزلة القرآن بين الكتب السماوية المنزّلة على الأنبياء السابقين –عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام–، يقول –سبحانه وتعالى–: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" المائدة:٤٨.

هيمنة القرآن تلك التي جعلت له السطوة والحظوة والتقديم، وفي معناه: أنه حافظ على ما في تلك الكتب من أصول الإيمان والإقرار بالله وإرسال الرسل والاعتراف بهم أنبياءً كرامًا –عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام–.

الهيمنة معنىً عظيم يملأ قلوبنا لربنا –جل جلاله– بمعانٍ عظامٍ كثيرة. يقول الغزالي –رحمه الله تعالى–: المُهَيْمِن: هذا الاسم لا يُطلق إلا على من استجمع صفاتٍ ثلاثة:

– أحدها: العلم التام بأحوال الشيء.

– وثانيها: القدرة التامة على تحصيل مصالح ذلك الشيء.

– وثالثها: المواظبة والاستمرار على تحصيل تلك المصالح.

يقول: بمجموع هذا الثلاثي يحصل وصف الهيمنة ويطلق اسم: المُهَيْمِن.

أيًّا كان، في هذه الإطلالة التي أردنا منها معنى اسم المُهَيْمِن، واستجلاء صفة الهيمنة التي وصف الله بها نفسه وسمَّى بها نفسه في كتابه الكريم، فإننا ينبغي أن نعترف أننا على عتباتٍ ثلاث نستظل فيها بظلال هيمنة ربنا –جل جلاله–:

– أولها: الثقة التامة واليقين الكبير، والعظمة التي تملأ أركان الجَنان، وتمتلئ بها الأبدان، وتفيض بها الجوارح بعظمة الله، إي والله؛ فإن لنا ربًّا عظيما مهيمنًا –سبحانه–، هيمنته في حفظه، واستيلائه على خلقه، وسطوته على جميع ما في الكون، علويّه وسفليّه، فالله المُهَيْمِن يحفظ الخلق، ويسوق أرزاقهم ويدبر شؤونهم.

– وأما ثاني العتبات: فالاستقواء بالله المُهَيْمِن، والركون إليه، أليس لنا ربٌّ كريمٌ مهيمنٌ عظيم؟ فإذا ما جئنا في مواقف الضعف والانكسار، أو الحاجة والافتقار، أو خوف الاضطهاد والإيذاء فلنركن إلى ربٍ عظيم سمَّى نفسه المُهَيْمِن –سبحانه وتعالى–، إننا نستقوي بربٍ مهيمنٍ على جميع ما خلق –جل في علاه–.

وأمة الإسلام كانت ولا تزال في حياتها عبر تاريخها الطويل إنما تركن إلى ربٍّ عظيمٍ جبارٍ مهيمنٍ –سبحانه وتعالى–، في ميادين اللقاء، وفي ساحات الجهاد، وفي مواقف الصراع، فإنها لا تزال تعيش احتماءً واستقواءً بربها المُهَيْمِن –جل جلاله–.

– وأما ثالث المعاني: التي نتفيؤها في ظلال اسم المُهَيْمِن ومعنى الهيمنة الإلهية فهي: أننا ما نزال نركن إليها في دعواتنا، نتوسل فيها بربنا العظيم –سبحانه وتعالى–، نستلهم من هذا المعنى أننا لا نخرج مثقال ذرةٍ عن تدبيره، عن خلقه، عن أمره ونهيه.

نعم، اثبت بقلبك وجنانك وببدنك وجوارحك على شريعة الله، فما أنت إلا مخلوقٌ تحت هيمنة الله، اجعل هذا سلاحًا تتقوى به على عدوك ونفسك وشيطانك والهوى، أنك إنما تتعبد لرب عظيم سمَّى نفسه بالمُهَيْمِن –سبحانه وتعالى–.

في كنف الهيمنة الإلهية نعيش عِزًّا مهما ضاقت بنا سبل الحياة، نعيش غِنًى وسعةً وطيب عيشٍ مهما خلَت من أيدينا أسباب المعاش، نعيش في ظلال الهيمنة أملًا كبيرًا بربنا وحسنَ ظنٍّ بكرمه وعطائه، وفي الآخرة وعدًا كريمًا ما زالت النفوس معلقة، فإن الرب المُهَيْمِن وَعَدَ وَوَعْدُهُ حق، وهيَّأ لعباده من الأسباب وفتح لهم من الأبواب.

فثِقوا بالمُهَيْمِن، واعتزوا بالمُهَيْمِن، وتوسَّلوا بالمُهَيْمِن، واركنوا إلى طاعته واستقيموا على شرعته.

أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله